

منشأ الرؤيا عند ابن عربي

ريم جورية^١

حمزة على إسلامي نسب^٢

ملخص

تحتل الرؤيا مكانة هامة في القرآن والسنة والفلسفة والعرفان و لكونها موجودة في صنف البشر على الاطلاق. تعتبر الرؤيا جزءاً من أجزاء النبوة في حقّ الأنبياء، فالرؤيا الصادقة مبدأ الوحي و ما هي بأضغاث أحلام و لا تكون إلا في حال النوم حيث كان الانبياء يوحى إليهم في منامهم، كما يوحى إليهم في اليقظة. ورد عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وما كان من النبوة فإنه لا يكذب. اما في القرآن الكريم فقد وردت لفظة الرؤيا بمشتقاتها المختلفة (١٤) مرة و سرد القرآن الكريم عدة رؤى للأنبياء و الصالحين و تناول تفسيرها و تعبيرها مبيناً بأن الرؤى وتفسيرها هو احد العلوم الشريفة. و لان الرؤيا في الاصل مسألة قرآنية مرتبطة بالوحي وتلقي الحقائق الغيبية، انتقلت أهميتها الى العرفان وتناول العرفاء تفسيرها وتحليلها لكونها من جهة مرتبطة بعوالم الوجود و عالم الخيال خاصة و لعلاقتها الوثيقة بالجهاز المعرفي عند الانسان و قوى النفس و خاصة قوة الخيال من جهة أخرى و دورها بتلقي الامور الغيبية من جهة ثانية. الرؤيا في اللغة يعني ما يراه النائم و الرؤيا الصادقة في الاصطلاح العرفاني هي أول طريق لكشف الغيب، فهي نوع من الكشف المرتبط بصفاء القلب و لا شك أنّ جميع كرامات (الأولياء) و مكاشفاتهم من ظلال النبوة. و من حيث أن

^١ . طالبة في قسم التفسير وعلوم القرآن، ماجستير

^٢ . استاذ مساعد في جامعة المصطفى العالمية. islaminasab@hotmail.com

ابن عربي من كبار العرفاء الذين تركوا العديد من الآثار و التي بحثت و فسرت هذه المسألة و مدى ارتباطها بعالم الغيب. فإن هذا المقال سوف يتناول تبين منشأ هذه المسألة بجانبها العرفاني من وجهة نظر ابن عربي.

الكلمات المفتاحية: منشأ، الرؤيا، منشأ الرؤيا، ابن عربي.

مقدمه

تحتل الرؤيا موقعاً هاماً في حياة الإنسان بشكل عام وفي مختلف العلوم كالفلسفة والعرفان بشكل خاص، حيث تعتبر الرؤيا في العرفان نوعاً من انواع التمثل (كتمثل الملائكة، والشياطين، الوحي، الكشف وتجسم الاعمال) الذي لا ينفصل بدوره عن النظرية المعرفية من جهة والوجودية من جهة اخرى وذلك في العرفان بشكل عام وعرفان ابن عربي بشكل خاص. يرتبط التمثل من الناحية الوجودية بعالم المثل ارتباطاً وثيقاً، كما يتعلق من الناحية المعرفية بالحواس الظاهرية والباطنية للإنسان، وخاصة قوة الخيال والتمثيلية. لذلك، من أجل فهم منشأ الرؤيا من وجهة النظر العرفانية لابن عربي كان لا بد من تبين التمثل من الناحية المعرفية ومن الناحية الوجودية على حد سواء. ما يراه النائم في نومه يختلف باختلاف منبع الرؤيا فقد يكون ربانياً متعلقاً بعالم الغيب، وقد يكون شيطانياً، أو حديث نفس. من خلال بحثنا في آثار ابن عربي واتباع التحليل النظري والتوصيفي عن الرؤى الصالحة وجدناها تتحقق من خلال تمكين الاتصال بعالم الغيب الذي لا يمكن ان يتم بدون تطوير أداة معرفية عند الإنسان ألا وهي عالم الخيال المتصل او المقيد او ما يطلق عليها قوة الخيال، تمكنه من تلقي ما يتنزل من حقائق غيبية تظهر في عالم الخيال المطلق او المنفصل.

الرؤيا:

يقضي الإنسان ثلث حياته في النوم، والذي فيه تسكن حواس الإنسان الظاهرة وينخفض فيه نشاط الإنسان الذي يمارسه وهو مستيقظ إلى أدنى حدوده سواء من الناحية الحركية أو

من الناحية الفكرية الذهنية. يرى الإنسان أثناء نومه كل يوم منامات مختلفة وذلك من خلال انقطاع حواسه الظاهرية عن العالم الخارجي وتفرغ نفسه إلى ما قد يراه من عالم الغيب والتي يعبر عنها بالرؤيا الصالحة أو ما يره في نومه من حديث نفس أو وسوسة شيطان. الرؤيا لغة: مشتقة من فعل رأى والرؤيا من الله والحلم من الشيطان، والرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقيح؛ ومنه قوله: أضغاث أحلام. (ابن منظور، 1414هـ، ج ١٤: ص ١٤٥) عبر الرؤيا يعبرها عبراً وعبرة، ويعبرها تعبيراً، إذا فسرّها، ومفسر الرؤيا يأخذ بها من وجه إلى وجه، كأن يسأل عن الماء، فيقول: «حياة» فهو في هذا قد عبر من شيء إلى شيء آخر. (ابن فارس، ١٤٠٤ق، ج ٤: ص ٢٠٨) الرؤيا في الاصطلاح القرآني هي ما يرى في المنام وروي: «لَمْ يَبَقْ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النَّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا». كما جاء في كلام الحق تعالى قوله: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ (الفتح: ٢٧)، وما جعلنا الرؤيا التي أريناك. (الإسراء: ٦٠) (راغب اصفهاني، ١٤١٢ق، ص ٣٧٥) في الاصطلاح العرفاني، يرى ابن عربي بأن الرؤيا هي واقعة من الوقائع التي هي المبشرات و الرؤيا الصادقة فهي ليست بأضغاث أحلام، بل جزء من أجزاء النبوة وبذلك يحصل للمكاشف كشف الميزان الذي بيد الحق الذي يخفض به و يرفع.

منشأ الرؤيا:

تأتي كلمة المنشأ في اللغة من نشأ، والنشأ: أحداث الناس الصغار. يقال للواحد: هو نشأ سوء، وهؤلاء نشأ سوء، والناشئ: الشاب، يقال: فتي ناشئ، ولم يقال هذا في الجارية، والفعل: نشأ ينشأ نشأ ونشأة ونشأة. (فراهمدي، ١٤٠٩، ج ٦: ص ٢٨٧) المنشأ كذلك له معنى آخر، يقال: أنشأه الله: خلقه. ونشأ ينشأ نشأ ونشوءاً ونشأاً ونشأة ونشأة: حيي، وأنشأ الله الخلق أي ابتداء خلقهم. وفي التنزيل العزيز: وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى؛ أي البعثة في

قَوْلُهُ تَعَالَى: ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ (ابن منظور، 1414هـ ج١: ص ١٧٠) من خلال ما تقدم من معاني المنشأ في اللغة نستخلص معنى المنشأ العلية والإيجاد من جهة والبداية والابتداء والتربية من جهة ثانية، وهذا الامر لا يختلف عن المعنى الاصطلاحي فالمنشأ في الاصطلاح يأتي من نشأ ونشأ فلان، والنَّاشِئُ يراد به الشَّابُّ، وقوله: إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً (المزمل: ١١) يراد به القيام والانتصاب للصلاة، ومنه: نَسَأَ السَّحَابُ لحدوثه في الهواء، وتربيته شيئاً فشيئاً. بالتالي وبحسب ماورد من المعاني اللغوية والاصطلاحية يكون المعنى بمنشأ الرؤيا هو علية وأصل الرؤيا وتحقيقها. تعتبر الرؤيا في العرفان نوعاً من أنواع التمثل وبالتالي لمعرفة منشأ الرؤيا لا بد لنا من معرفة التمثلوكية تحقيقه.

التمثل في العرفان وعوالم الوجود:

يشترك التمثل في اللغة من الفعل الثلاثي مُثَّلَ وتمثَّل شيء لشيء آخر بمعنى تصور او تشخص. (الطباطبائي، ١٣٥٢ش، ج ١٤: ص ٣٦) أما التمثل في الاصطلاح فهو تشخص المعاني و تجسّد الحقائق والأرواح من قبل الحق تعالى في خيال المشاهد والرائي. (جندی، ١٤٢٣ق: ص ٥٧٢) بعبارة أخرى، إن التمثل هو تنزّل الحقائق الإلهية بصور خياليه حتى تعرفها الناس بقدر وسعتهم ومقامهم. (التلمساني، ١٣٧١ش، ج ٢: ص ٣٦٦) وفقاً للعرفاء، فإن عوالم الوجود وعوالم الوجود الإنساني هي ثلاثة. فكما أن عوالم الوجود تقسم إلى عالم المادة، وعالم المثال، وعالم الغيب، كذلك عوالم الوجود الإنساني تقسم إلى عالم الحس، وعالم المثال، وعالم الغيب. يعتقد العرفاء، كما الفلاسفة، بأن عالم

المثال يعد عالماً وسيطاً بين عالم المادة وعالم الغيب أي أنه ليس مجرداً ولا مادياً ، وبالتالي ليس خالياً بالمطلق من آثار المادة.

إضافة إلى ذلك، توجد علاقة بين عوالم أو مستويات الوجود الإنساني وعوالم الوجود، بحيث تُدرك عوالم الوجود من قبل عوالم الوجود الإنساني، ووسيلة الاتصال بين هذه العوالم هي حواس الإنسان الذي يملك خمس حواس ظاهرية وأخرى باطنية يعتمدها السالك دائماً في سيره إلى الحق تعالى.

فيما يتعلق بالتمثل يؤخذ عالمين بعين الاعتبار، أحدهما في الإنسان (عالم المثال الإنساني) والآخر في عالم الوجود (عالم المثال). يسمى عالم المثال الإنساني "المثال أو الخيال المتصل" أو "المثال المقيد" أو "الابدان المعلقة" وعالم المثال يسمى "المثال أو الخيال المنفصل" أو "المثال المطلق" .. عالم الخيال أو المثال المتصل هو القوة الخيالية للإنسان ومن حيث أن هذه القوة مرتبطة بالإنسان سمي هذا العالم بالمتصل ، أما عالم الخيال المنفصل فهو يتعلق بعالم الوجود ومنفصل عن الإنسان.

يشمل عالم المثال المطلق أو المنفصل، جميع الآثار الدنيوية والأخروية، وذلك لوجود كل موجودات عالم المادة في عالم المثال المنفصل وكذلك تجسد الاعمال في الآخرة تتحقق فيه.

اما عالم المثال المتصل او المقيد فهو على نوعان: أحدهما مقيد بالنوم والآخر غير مقيد به، ولكنه مشروط بغياب أو ضعف الحس. في النوع الأول يرى الإنسان في منامه الصور المثالية، وفي النوع الثاني تحدث الواقعة للسالك وهو في حال بين النوم واليقظة وفيها يشاهد اموراً غيبية بحيث تختفي معها الامور المحسوسة. فالواقعة هي ما يرد إلى القلب من عالم الغيب سواء كان كلاماً أو مثلاً. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ١٣٠) بالنسبة

لما يراه للأنبياء انما هو الصور المثالية المرئية فى النوم والخيال ثم يترقون الى أن يروا الملك فى المثال المطلق او المقيد فى غير حال النوم لكن مع نوع فتور فى الحس.

إن عوالم الوجود الإنساني مرتبطة بعوالم الوجود، ويتحقق هذا الارتباط من خلال السير والسلوك وتقوية الحواس الباطنية للسالك. يرى السالك فى البداية صوراً ومدرجات مثالية فى نفسه (عالم الخيال المتصل)، وعندما يترقى فى مراتب سيره وسلوكه يرى الموجودات المثالية فى عالم المثال المطلق. لذلك فإن نقاء وطهارة الحواس الباطنية هي سبب فى ترقى الإنسان ومعه ينتقل الإنسان من مقام إلى آخر. إنه يصعد من عالم الخيال المتصل إلى عالم الخيال المنفصل، وينتقل من رؤية الصور والمدرجات المثالية فى العالم المثال المتصل إلى مشاهدة الموجودات المثالية المستقلة فى عالم المثال المنفصل. وبالتالي يتحقق التمثل فى كلا عالمي المثال سواء المتصل أو المنفصل. تجدر الإشارة إلى أن عالم المثال المنفصل على نوعين؛ أحدهما هو البرزخ النزولى فى السير النزولى والآخر البرزخ الصعودى فى السير الصعودى، حيث يختلف موقع كل من هذين العالمين فى نظام الوجود، لىختلف معها منشأ الصور المثالية فى كلا السيرين، فمثلاً، يرتبط كل من الثواب والعقاب، النار والجنة، والتكامل بالبرزخ الصعودى، بينما تتعلق الأحلام والرؤى والمعجزات بعالم المثال النزولى ولا يطرح أى منها كقضية تبحث بالارتباط مع عالم المثال الصعودى. (حسن زاده آملی، ١٣٨٧ش، ج ٣، ص ٦٨٤)

يؤكد قيصري فى مقدمته على تفاوت عالمي المثال المنفصل وينقل عن ابن عربي اختلاف البرزخ الذى ياتى بعد الانفصال عن النشأة الدنيوية عن ذلك البرزخ الذى يقع بين الارواح المجردة والأجسام المادية أى عن عالم المثال المنفصل الموجود بين عالم الغيب وعالم الشهادة. يطلق ابن عربي، على البرزخ الصعودى (الغيب المحالي) كما يسمى البرزخ النزولى (الغيب الإمكانى)، ذلك أن كل ما هو موجود فى البرزخ النزولى من الممكن أن يظهر فى عالم الشهادة فى حين أنه من المحال ما هو موجود فى البرزخ

الصعودي أن يعود ويظهر في عالم الشهادة ولذلك كثير من الناس شاهدوا عالم المثال المنفصل وقليل جداً من رؤوا عالم المثال العروجي. (قيصري، ١٣٨٧ش: ص ٩٢)

الحواس الظاهرية والباطنية في العرفان

الحواس الظاهرية والباطنية هي الادوات الانسانية لاكتساب المعارف ودراسة العلوم. في هذا الصدد، يعتقد العرفاء، كما الفلاسفة، بأن النفس مجردة ذات قوى والتي من خلالها تقوم بعملها، لكن العرفاء لم يولوا اهتماماً كبيراً لكيفية الإدراك وسيره ولم يطوروا أبحاثاً مفصلة حوله، بل بالأحرى كان تركيزهم على شرح دور قوى النفس في الكشف، الإلهام والشهود، لأنها لا تتحقق من خلال القوة العاقلة الانسانية. (تبعه ايزدي، ١٣٨٣ش: ص ٢٣)

يشير ابن عربي في كتاب الفتوحات المكية إلى الحواس معتبراً العقل والحواس الظاهرية مصداً للمعرفة. يعرف مصادر وجذور العلم بستة حواس: البصر والسمع والشم واللمس والذوق والفكر. من وجهة نظره فإن العقل لا يحتاج إلى أي قوة للإدراك، حيث تعتمد هذه القوة العاقلة على عدة امور للإدراك؛ فهي تدرك بجوهرها وتعتمد التفكير الصحيح القائم على الحواس الخمس والضروريات والبد依يات. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ١: ص ٢٢٠)

في مكان آخر من نفس الكتاب، يسمي ابن عربي قوى النفس الأخرى، مثل القوى الطبيعية المدبرة للبدن والقوى الروحية الباطنية مشيراً إلى القوى الغاذية، الماسكة، الهاضمة، الدافعة، النامية، الحاسة، الخيال، الوهم، الحفظ والذكر، ويؤكد على الاشتراك القائم بين الإنسان والحيوان في كل هذه القوى، وهذا يدل على الجانب الحيواني للإنسان وليس إنسانيته. من وجهة نظر ابن عربي، على الرغم من هذا الاشتراك بين الحيوانات والبشر في تلك القوى، لكن هناك بعض الاختلاف وهو أن قوى الخيال والوهم والتذكر والحفظ أقوى في الإنسان منها عند الحيوانات، والمهم هو أن ما يميز الإنسان عن الحيوان ليس

هذه القوى المذكورة، بل القوى الثلاثة التالية التي وضعها الله في اصل خلقه الإنسان ألا وهي: المصورة، المفكرة والعاقلة. لقد خلق تعالى تلك القوى في الإنسان ليصل إلى إنسانيته، وهذه الإنسانية تميز الإنسان عن غيره من الكائنات. يعتقد ابن عربي أن الإنسان يصل إلى إنسانيته عندما تشبه روحه العاقلة خالقه وذلك بواسطة قواه. أي أن القوى هي أدوات النفس العاقلة للوصول إلى الكمال. لقد جعل الله تعالى جميع القوى في البدن كأدوات للنفس العاقلة لتحقيق جميع المنافع المادية والمعنوية، ليتبعها بخلقة أخرى في الإنسان ألا وهي الإنسانية. لقد جعل الله هذه القوى في الإنسان حتى يكون حياً، سميعاً، مريداً، متكلماً، بصيراً. يؤمن ابن عربي بوحدة النفس وقواها، وهذه القوى في نظره هي النفس ذاتها والحق تعالى قد جعل لمطلق الانسان والانسان الكامل (الخليفة) ثلاث قوى كل منها لها حضرة خاصة بها وهي: الوهم، العقل وقوة الفكر. يبين ابن عربي العلاقة بين القوى الخاصة بالإنسان (المصورة، المفكرة، والعاقلة) بطريقة تجعل القوة المصورة الموجودة في الخيال تعمل تحت إمرة قوتي العقل والوهم. أي أن القوة المصورة إما تعمل بأمر العقل بواسطة قوة الفكر أو بأمر وحكم الوهم. ينقل الحس ما يدركه إلى الخيال، وتركب القوة المصورة ما تريد تركيبه حتى لو لم يكن موجوداً في الحس. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٣: ص ٣٦٤) يثبت ابن عربي أن العقل لا يكفي لفهم الأشياء المجردة في هذه النشأة الدنيوية، معتقداً بأن الوهم أقوى من العقل في هذه النشأة لأن العقل لا يقبل أي معنى مجرد دون تصور، والتصور ليس إلا الصورة الذي يحكم فيها الوهم. لذلك، فإن العقل متعلق بالوهم في عملية الإدراك. ونتيجة لذلك، لا يدرك العقل الامور المجردة عن المادة (المعاني)، ولهذا السبب أرسل الحق تعالى الأنبياء عليهم السلام حتى يكونوا في حضرة الخيال ليجمعوا بين المعاني المجردة والمادة في المحسوسات. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٣: ص ٣٦٤)

من وجهة نظر العرفان، لا تكفي القوى الظاهرية والباطنية للإدراك، بل يحتاج الإنسان إلى أداة تسمى القلب يصل من خلالها إلى الحقيقة. لا يحتل القلب في العرفان مكاناً معرفياً وإمارة على الأعضاء وملكها فحسب، بل هو حقيقة روح الإنسان ومقر معرفة الله تعالى، فالقلب ليس تلك المضغة المشككة من لحم ودم، لشراكة الإنسان فيه مع الموتى والماشية، بل هو ذلك الجوهر النوراني البرزخي بين النفس الناطقة والروح التي هي باطن القلب وحاملها النفس الحيوانية الظاهرة. القلب عند ابن عربي هو رئيس البدن الذي يُخاطب به الإنسان ويتلقى ويدرك ويتعقل الامور الإلهية. القلب هو الملك المطيع الذي يتمتع بولاية عامة على جميع القوى الروحية والحسية، وبهذه الولاية يحفظ العبد حق الله تعالى ويعبده، ويبتعد عن المحرمات التي لا ترضيه جل وعلا. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٣: ص ٣٣٦)

يعرف ابن عربي وسيلتين لتطهير القلب ورفعته في العالمين. الأولى، الإيمان الذي يزيل الحجاب، والثانية المعرفة التي تنقذ القلب وتحرره من الجهل والشك والرياء. وفقاً لابن عربي، فإن القلب لا يعد فقط مقاماً للمعرفة الإلهية في الإنسان، ولكن الإنسان عندما يصل إلى الكمال (الإنسان الكامل) يصبح قلباً بحد ذاته. بمعنى أن الإنسان الكامل هو موقع السعة الإلهية والذي يحتل المكانة بين الله تعالى والكون وهو المقصود في الحديث القدسي للحق سبحانه وتعالى بقوله: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن». (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٣: ص ٢٩٥)

قوة الخيال والتمخيلة وعلاقتها بالرؤيا عند ابن عربي

إن للخيال عند ابن عربي استخدامات مختلفة ومتنوعة نجملها بقسمين: الاول، وهو الخيال بمعنى ماسوى الله والذي لا يعنى به بأن كل ما في هذا العالم ليس إلا وهم أو خيال، بل هو الوجود الظلي للحق تعالى، فيما ينحصر الوجود الحقيقي بالحق جل وعلا. فيما يتعلق بالقسم الثاني فيقسمه ابن عربي إلى أربعة أقسام: الخيال المطلق (العماء)،

الخيال المحقق، الخيال المنفصل (وهو العالم الوسيط بين عالم الغيب والشهادة) والخيال المتصل (هو إحدى قوى الإدراك الحسي عند الإنسان). (حكيم، ١٩٨١م: ص ٤٤٩) ما يهمننا في بحثنا وما يتعلق بالرؤيا هو الخيال بشقيه المتصل والمنفصل، فالأول يعمل كقوة إدراك إنسانية والثاني يشكل عالماً منفصلاً عن النظام الإدراكي عند الإنسان. فالخيال المنفصل هو عالم له حضور ذاتي متجلي في الحس، فيما يعرف الخيال المتصل بأنه قوة من قوى الإدراك الإنساني القادرة على خلق الصور.

أما فيما يتعلق بعلاقة القوى الإدراكية الانسانية بالعوالم، يرى ابن عربي بأن قوة الخيال والمتخيلة هي من بين القوى الإدراكية للإنسان اللتان تشكلان وسيلة الاتصال مع حضرة الخيال، ولكن معظم الناس لا يستطيعون دخول تلك الحضرة إلا إذا كانوا نائمين، لأن قوة الخيال والمتخيلة تعملان في النوم بشكل صحيح. أما خواص الناس فلا يدخلون حضرة الخيال فقط في النوم بل أيضاً في حالة اليقظة، وهذا يرجع إلى قوة تحقق قوة المتخيلة لديهم. يعتقد ابن عربي بأن قوة المتخيلة هي إحدى القوى الإدراكية التي جعلها الحق تعالى في وجود الإنسان، وأن حضرة الخيال حقيقة موجودة في الإنسان الذي يمتلك القدرة على التصرف بها أكثر من المعاني والموجودات الروحانية الموجودة في الملاء الأعلى. لذلك لا ينبغي للإنسان أن يكتفي فقط بالمعاني، لأن المعاني والموجودات الروحية لا تمتلك قوة المتخيلة في نشئتها كما يمتلك هو، فهذه القوة تختص بالإنسان دون غيره من الموجودات. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٣: ص ٤٢)

ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية يؤكد على مسألة ارتباط مقام الإنسان وإدراكه لحضرة الخيال المنفصل، والذي هو حضرة مستقلة تنزل فيها المعاني والأرواح على هيئة صور. بعبارة أخرى، بقدر مقام العبد يكون إدراكه من هذه الحضرة، فتكون درجته بحسب ما اعتقده من ذلك المقام. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ٢٩٦)

عالم المثال (الخيال المنفصل):

بالنسبة لابن عربي، فإن الخيال المنفصل، هي الحضرة الجامعة والشاملة، والعالم الذي يتجلى فيه الله سبحانه وتعالى بالصور (بأي صورة شاء). عالم الخيال المنفصل هو عالم الحقائق والتركيب فيه تتمثل الموجودات الروحانية (الملائكة والأجنة) بهيئة صور، كتمثل جبريل عليه السلام لمريم عليها السلام بهيئة إنسان سوي وتمثل الملائكة كضيوف لسيدنا إبراهيم عليه السلام. تكتسي المعاني في عالم الخيال المنفصل بكسوة الصور، حيث تنزل على هيئة قوالب حسية، وأياً كان ما يظهر في حضرة الخيال المنفصل، فهي أجساد (وليست أجسام) والتي لا يمكن تحديدها (أي الأجساد) إلا بقوة إلهية يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده. أما الخيال المتصل فهو قوة المتخيلة والتي من خلالها يمكن للمرء أن يدخل في حضرة الخيال المنفصل، سواء في اليقظة أو في النوم.

١. مكان الرؤيا وحالتها وتجليي الله في صورها

يعتقد ابن عربي بأن النوم هو حال الرؤيا وهو الغيبة عن المحسوسات الظاهرة. يأخذ الإنسان وحواسه بموجب هذه الغيبة (النوم) قسطاً من الراحة، ذلك أنه في حال اليقظة يكون دائم الحركة، فجعل الله تعالى النوم راحة لتستريح آلات وجوارح وأعضاء البدن لما كانت قد تعبته في حال اليقظة وجعل زمانه الليل وإن وقع بالنهار كما جعل النهار للمعاش وإن وقع بالليل. ما يحدث في الرؤيا هو انتقال الآلات البدنية من ظاهر الحس إلى باطنه، لتشهد ما تم تقريره في خزانة الخيال التي جُمعت فيها ما كان قد رفعته إليها الحواس مما أخذته من المحسوسات وما صورته القوة المصورة التي تعد أحد خدم هذه الخزانة وذلك لتتمكن هذه النفس الناطقة والتي وهبها الله هذه المملكة من أن تطلع على ما تجمع في خزانتها، وهذه هي عادة الملوك يدخلون خزائهم في أوقات خلواتهم ليطالعوا على ما فيها. يبين ابن عربي كمال خزانة الخيال وهذه النشأة وارتباطها بكمال الآلات والجوارح البدنية. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ٣١١)

من وجهة نظر ابن عربي فإن النوم يحدث فيه نوعين من الانتقال: انتقال الحواس من الظاهر المحسوس إلى حضرة الخيال بالظاهر المحسوس، وكذلك انتقال المعاني حيث تنتقل من تجريدها عن المواد إلى لباس وصور المواد كظهور الحق في صور الأجسام والعلم في صورة اللين و ما أشبه ذلك، فمن وجهة نظر ابن عربي، فإن الله سبحانه وتعالى يتجلى في صور خزانة الخيال فكل ما يراه النائم في نومه إنما هو تجسد للمعاني في صور المحسوسات، لأن حقيقة الخيال تقتضي أن يتجسد كل ما ليس من شأنه أن يكون جسداً. يبين ابن عربي بأن حضرة الخيال لها هذه الحقيقة وما من حضرة تعطي الأمر على ما هو عليه سوى هذه الحضرة الخيالية، فإذا رأى الإنسان رؤيا في نومه لا يشك في صورها ذلك أن الصورة حق ومن تجليه تعالى. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ٣٧٨)

لا بد من الإشارة إلى أن وقوع الرؤيا من وجهة نظر ابن عربي لا يتعلق فقط بعالم الخيال المتصل والمنفصل فحسب بل هناك كذلك ملكاً موكلاً بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا تكون بحوزته صور الأجساد التي من خلالها يدرك النائم فيها نفسه وغيره وما يحدث من تلك الصور من الأكوان. والملفت للنظر هنا هو أن الإدراك هنا تابع لمقام النائم فإذا كان هذا النائم من أهل الفناء في الله فإن المحسوسات لا تقف حائلاً بينه وبين ما في يد هذا الملك من الصور لا في النوم ولا في اليقظة. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ٣٧٧)

يتابع ابن عربي حديثه حول كيفية إدراك النائم للرؤيا والصور الموجودة بيد الملاك، هذا الإدراك إنما يتم من خلال ما سماه اللطيفة الإنسانية والتي تنتقل بقواها عبر الحضرات من المحسوسات إلى الخيال المتصل الموجود في مقدم الدماغ ليفيض عليها هذا الملاك بالصور من الخيال المنفصل بأذن الحق سبحانه وتعالى. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ٣٧٧) وهنا ابن عربي يحدد ما يراه النائم من الصور والتي منها ما يتعلق بالله وما يوصف به من الأسماء، حيث يؤكد ابن عربي بأن المرتبة الأولى للصور والتي تنحصر بإرجاع

الصورة إلى عين المرئي لا غير، لا يمكن ان يعترئها أي شيء من نقص أو قبح وماشابه ذلك على عكس المرتبتين الاخرتين والتي قد تظهر الصورة فيهما بشيء من الحسن والقبح والنقص والكمال. لا يكتفي ابن عربي بتحديد ما تتميز هذه المرتبة من الصور، بل يبين كذلك إلى أن ما يأتي من تلك الصورة من خطاب يكون بحسب ما يكون من حال الخطاب وبقدر ما يفهم منه أثناء الرؤيا ولا يعبر ولا يؤول بعد العودة الى عالم الحس إلا أن يكون المعبر عالمًا بالتعبير سواء كان الرائي نفسه أو أن يسأل عالمًا حول ما رآه. وبما أن هذا النوع من الصور هو حق فيجب أن يؤخذ بعين الاعتبار معاملة الرائي لها من الأدب والاحترام وغير ذلك، ذلك أن حاله بحسب ما يصدر منه في معاملته وحركته مع تلك الصورة، حيث إنه من الممكن أن يشاهد الروح الذي بيده هذه الحضرة وقد لا يشاهده. أما فيما يتعلق بغير حال هذه الصورة الحق فإما أن تكون من الشيطان أو مما يحدث المرء به نفسه في حال اليقظة وهنا لا يعول على ما يراه من تلك الصورة إذا عبرت ما لم يعبرها عالم يتميز بقوة التعبير وهنا يكون للصورة حكم كما سيمر معنا فيما حدث مع سيدنا يوسف وصاحبي السجن اللذين كان يكذان في رؤياهما وما كان ارتسم في خيال سيدنا يوسف عليه السلام هو الذي كان له الحكم فيما حدث لهما. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ٣٧٧)

النتائج

١. يرتبط منشأ الرؤيا في القرآن الكريم عند ابن عربي بعدة أمور: بعالم الخيال المنفصل المطلق من جهة وعالم الخيال المتصل المقيد من جهة أخرى، مع اقتران هذه المسألة عنده بمقام الإنسان وما يدركه من حضرة الخيال المنفصل، والذي هو حضرة مستقلة تتجسد فيها المعاني والأرواح على هيئة صور.

٢. يرتبط كذلك منشأ الرؤيا بوجود بالرؤيا المسمى بالروح وهو دون السماء الدنيا تكون بحوزته صور الأجساد التي من خلالها يدرك النائم فيها نفسه وغيره وما يحدث من تلك الصور من الأكوان.
٣. محل الرؤيا ومكانها، هو النشأة العنصرية الحيوانية والعلم الإلهي أي أن محلها في هذه النشأة العنصرية المتعلقة بالإنسان ذلك أن الملائكة ليس لها رؤيا، ومحلها كذلك في العلم الإلهي من خلال الاستحالات في صور تجلي الحق سبحانه وتعالى.
٤. نرى أهمية القوة المتخيلة وتأثيرها على حياة الإنسان فهذه القوة خص الله تعالى الإنسان بها دون غيره من الموجودات. لتكون وسيلة لتلقي الحقائق الغيبية كما في حالة الرؤيا.

المراجع والمصادر

المصادر العربية

القرآن الكريم

١. ابن عربي، محيي الدين (١٤٠٥ق)، الفتوحات المكية (١٤ مجلد)، ط ٢، مصر، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب.
٢. ابن عربي، محيي الدين (١٤٢١ق)، مجموعة رسائل ابن عربي، ط ١، لبنان، بيروت، دار المحجة البيضاء.
٣. ابن عربي، محيي الدين (١٤٢٢ق)، فصوص الحكم، تعليق الإمام الخميني،

١. بيروت، لبنان، دار المحجة البيضاء.
٢. ابن فارس، احمد بن فارس (١٤٠٤ق)، معجم مقاييس اللغة، ط١، ايران، قم، مكتب الاعلام الاسلامي.
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (١٤١٤هـ)، لسان العرب، الطبعة الثالثة، لبنان، بيروت، دار صادر.
٤. ابو نصر طوسي، عبد الله بن علي (من دون تا)، اللمع في التصوف، ط١، ايران، تهران، جهان.
٥. جرجاني، علي بن محمد (١٣٧٠)، التعريفات، ج٤، ايران، تهران، ناصر خسرو.
٦. جندی، مؤيد الدين (١٤٢٣)، شرح فصوص الحکم (الجندی)، ج٢، ايران، قم، بوستان کتاب.
٧. الحکيم، سعاد (١٩٨١م)، المعجم الصوفي، ج١، لبنان، بيروت، دندره للطباعة.
٨. راغب اصفهاني، حسين بن محمد (١٤١٢ق)، مفردات الفاظ القرآن، ط١، لبنان، بيروت، دار الشامية.
٩. طباطبائي، محمد حسين (١٣٥٢ش)، الميزان في تفسير القرآن، ط٣، لبنان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٠. عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني (١٣٧١ش)، شرح منازل السائرين (التلمساني)، ط١، ايران، قم، انتشارات بيدار.
١١. الفراهيدي، خليل بن أحمد (١٤٠٩ق)، العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي الدكتور ابراهيم السامري، الطبعة الثانية، ايران، الناشر: مؤسسة دار الهجرة.
١٢. فيروز آبادي، محمد بن يعقوب (١٤١٥ق)، القاموس المحيط، ط١، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.

المصادر الفارسية

١. حسن زاده آملی، حسن (١٣٨٧ش)، شرح فارسی الاسفار الاربعه، چ ١، ایران، قم، بوستان کتاب.
٢. قیصری، داوود بن محمود (١٣٨٧ش)، شرح مقدمه قیصری بر فصوص الحکم، ترجمه حسین سید موسوی، چ ١، ایران، تهران، حکمت.

مقاله

- تبعه ایزدی، مختار، «قوای روح از دیدگاه عرفان»، خردنامه صدرا، شماره ٣٥، بهار ١٣٨٣، ص ٢٣ - ٣٠.

